

عُلمَاء الأصْوَآت العَرَب

سَبَقُوا اللغويين المَحرفين

اِبْتِكَارَ نَظَرِيَّة التَّمَاثُل

الدكتور عبد العزيز مطر
جامعة الكويت

ثم اضاف «دانيال جونز» ان هذا الاصطلاح قد يتسع فيشمل الحالات التي يتم فيها ادغام احد الصوتين في الآخر ، بحيث يكونان صوتا واحدا ويسمى هذا النوع «التماثل المجمع او الادغام» (Coalescent assimilation)

ويشرح هذا التعريف في معادلتين على النحو التالي :

- 1 - التماثل العادي : الصوت : A يستبدل بالصوت B تحت تأثير الصوت : C
- 2 - التماثل المجمع (الادغام) : الصوتان : A, C قد اثر كل منهما على الآخر ، وادغما واجتمعا في الصوت الموحد : B وتكتفي من امثله بما يأتي :

يمثل «جونز» للتماثل العادي غير التاريخي بالتغير الذي يطرا على صوت ال S في الكلمتين: (Horse, shoe) . عندما تتركبان معا نحو Horse-shoe (حدوة الحصان) حيث تنطق ال S هكذا Sh (ش) ويمثل للتماثل المجمع (الادغام) Coalescent Assimilation بالكلمتين you don't فانهما تنطقان معا هكذا (Dountshu)

ظاهرة صوتية ذات اثر في التطور اللغوي ، اعترف بها ، ورسم حدودها ، وبين اثرها اللغويين المحدثون ، ويمثلهم في هذا البحث : اللغوي الانجليزي «دانيال جونز» (Daniel Jones) واللغوي العربي الدكتور ابراهيم انيس .

وسيفيف هذا البحث حقيقة جديدة ، هي ان هذه الظاهرة الصوتية قد عرفت ايضا عند اللغويين القدماء : ويمثلهم : سيبويه (ابو بشر عمرو ت 180 هـ) وابن جني (ابو الفتح عثمان ت 392 هـ) . وسنبدا اولا بتعريف هذه الظاهرة ، وتحديد معالمها ، وبيان اثرها في التطور الصوتي عند المحدثين ، ثم نعزز ذلك بعرض ما قاله لغويونا القدماء في هذا الصدد .

1 - التماثل عند المحدثين

عقد دانيال جونز فصلا في كتابه (1) (An out line of english phonetics) تناول فيه ظاهرة التماثل (Assimilation) واثرا في تطور اصوات اللغة الانجليزية وقد عرف التماثل بأنه « استبدال صوت باخر تحت تأثير صوت ثالث يكون مجاورا له في الكلمة او في الجملة »

(1) صفحة : 217 الفقرات من : 837 الى 853

كذلك يمثل «جونسز» بالكلمتين Roast boef حيث تحولت الـ S الى Z تحت تأثير صوت الـ B المجهور .

ومن العرب المحدثين عقد الدكتور ابراهيم انيس فصلا في كتابه « الاصوات اللغوية » (2) تحت عنوان : المائلة Assimilation شرح فيه الظاهرة ، وبين نوعيها الرجعي (3) والتقدمي (4) ومثل لكل منهما ، ثم وضع درجات تآثر الاصوات المتجاورة .

وقال في شرح المائلة .. « تتأثر الاصوات اللغوية بعضها ببعض في المتصل من الكلام ... ومجاورة الاصوات بعضها لبعض في الكلام المتصل ، هي السر فيما قد يصيب بعض الاصوات من تآثر » .

والاصوات في تآثرها تهدف الى نوع من المائلة او المشابهة بينها ، ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات او الخارج ، ويمكن ان يسمى هذا التآثر بالانسجام الصوتي بين اصوات اللفظة . وهذه ظاهرة شائعة في كل اللغات بصفة عامة ، غير ان اللغات تختلف في نسبة التآثر وفي نوعه (5)

ومع ان استاذي قد وفي هذه الظاهرة حقها شرحا وتوضيحا ، وتمثيلا وتعديلا ، لاحظت انه لم يربط بين ما قرره المحدثون وما ذكره سيبويه وابن جنى ، على ما سنوضحه بعد .

ونمضي الآن في توضيح هذه الظاهرة ، وتحديد معانيها والتمثيل لها بأمثلة من الفصحى واللهجات الحديثة ، ثم نقف بعرض آراء سيبويه وابن جنى وتحليلها .

اذا تجاور صوتان متجاورا تماما ، بحيث لا يفصل بينهما صوت لين (حركة) وكانا مختلفين في صفة الجهر والهمس ، او الشدة والرخاوة ، او الاطباق والانفتاح ، فان هذين الصوتين يميلان الى الانسجام بان يصبحا متماثلين في الصفة ..

وإذا كان هذان الصوتان المتجاوران متقاربين مخرجا او صفة ، او متجانسين ، فان التماثل بينهما قد يصل الى ان يفنى احدهما في الآخر بادغامه فيه .

وفيما يلي توضيح لهذا التحديد للتماثل ، وبيان درجات التآثر بين الصوتين المتجاورين :

1 - الجهر والهمس : يقول الصرفيون ان فاء (افتعل) اذا كانت زايا قلبت التاء دالا ، نحو ازدرج ، ازدهى ، ازدان ، ازدلف ...

فما التفسير الصوتي لقلب التاء في : ازتجر ، وازنهي ، وازمان ، وازتلف وامثالها دالا ؟

في ضوء ظاهرة التماثل نقول : ان التاء قد جاورت الزاي ، والتجاور هنا تام ، اذ لم يفصل بين الزاي والتاء حركة . ولما كانت الزاي صوتا مجهورا وكانت التاء صوتا مهموسا فان الصوتين يميلان الى تحقيق الانسجام بينهما ، وهنا تآثرت التاء المهموسة بالزاي المجهورة فجهر بها ، وحين يجهر بالتاء تصبح دالا لان التاء والدال من مخرج واحد ، فاصبحت الدال والزاي متقاربين كلاهما مجهور ..

ويسمى التآثر الذي تم في هذه الامثلة تآثرا تقدميا ، أي أن الصوت الثاني وهو التاء تأثر بالاول وهو الزاي .

وفي قراءة ابن مسعود : (اذا بعثر ما في القبور) اي بعثر ، يقال ان العين وهي صوت مجهور، جاورت التاء وهي صوت مهموس ، فتآثرت العين بالتاء فهمست ، وحين همست العين تصبح حاء لان الحاء هي النظير المهموس للعين المجهورة ، ويسمى التآثر الذي تم هنا تآثرا تخلفيا أي أن الصوت الاول وهو العين ، تأثر بالتاني وهو التاء .

وفي اللهجة المصرية تنطق : جهاز تسجيل ، هكذا : جهاس تراجيل .

(2) الفصل السابع : من ص 126 الى 148 (ط 3 - 1961)

(3) (Régressive)

(4) (Progressive)

(5) الاصوات اللغوية : 126 .

وقد حدث هنا نوعان من التائر : تائر الزاي المجهورة في « جهاز » بالهاء المهموسة في « تسجيل » ، تأثرا تخلفيا ، فهمس بالزاي فأصبحت سينسا . وتأثر السين المهموسة في « تسجيل » بالجيم المجهورة تأثرا تخلفيا أيضا ، فجهر بها ، وحين يجهر بالسين تصبح زايا لأنها نظيرها المجهور .

وفي اللهجة المصرية أيضا نطق : « خمس دقائق » هكذا : خمز دآييه . وننطق « بالنسبة » هكذا : « بالنزبة » . « وعلى حسب وداد قلبي » هكذا : « على حزب » .. والذي حدث هنا تماثل قلب فيه الصوت المهموس وهو السين الى نظيره المجهور وهو الزاي ، بسبب مجاورة السين للصوت المجهور ، وهو الدال ، أو الباء ، تحقيقا للانسجام الصوتي .

كذلك نطق كلمة « اشدق » وكلمة « مشغول » بجهر الشين ، بحيث تقترب من الجيم الشامية (ج) وتفسير ذلك ان الشين ، وهي مهموسة ، جاورت الدال وهي مجهورة ، فجهر بالشين ، ليصبح الصوتان المتجاوران مجهورين .

2 - الشدة والرخاوة : قال اللغويون ان كلمة ست (للعدد 6) اصلها : سدس ، فقلبت السين تاء فأصبحت سدت ، ثم ادغمت الدال في التاء . وتفسير الحالة الاولى ان السين وهي صورة رخو ، جاورت الدال وهي صوت شديد ، فتأثر الصوت الثاني بالاول تأثرا تقدما فقلبت السين الى نظيرها الشديد وهو التاء . اما الحالة الثانية فقد نفي فيها الصوت الاول ، وهو الدال ، في الصوت الثاني وهو التاء ، والتائر هنا تخلفي .

وقوله تعالى : (وجاءت سيارة) قريء بادغام التاء في السين . وتفسير ذلك ان التاء وهي صوت شديد جاورت السين وهي صوت رخو ، فتأثر الصوت الاول بالثاني فقلبت التاء الى نظيرها الرخو وهو السين . ثم حدث الادغام .

وقوله تعالى : (ولولا اذ دخلت جنتك) قريء بادغام الدال في الدال وتفسير ذلك ان الدال وهي صوت رخو جاورت الدال وهي صوت شديد فقلبت الدال دالا ليصبح الصوتان شديدين ، ثم حدث الادغام .

ومن ذلك قلب الباء الشديدة الى نظيرها الرخو ، وهو الفاء ، في قوله تعالى : (ان تعجب فعجب) وبعد القلب حدث الادغام .

3 - الاطباق والانفتاح : يقول الصرفيون : اذا كانت فاء (افتعل) صوتا من اصوات الاطباق : الصاد أو الضاد أو الطاء أو الظاء ، قلبت تاء الانفتاح طاء ، نحو : اضطرب ، واضطرب ، واطرد واططم ، وهي صيغ (افتعل) من الضرب ، والضرب ، والطرء ، والظلم ..

والذي حدث هنا هو قلب الصوت المنفتح وهو التاء ، الى نظيره المطبق وهو الطاء ، بسبب مجاورة التاء للصوت المطبق ، وهو الصاد ، أو الضاد ، أو الطاء أو الظاء ..

والتأثير هنا تقدمي ، أي ان الصوت الثاني تأثر بالاول . وانما تم هذا التائر ، ليتحقق الانسجام بين الصوتين المتجاورين بحيث يكونان مطبقين .

وفي اللهجات تقول : مصطرة اي مسطرة ، والماء يصخن ، بقلب السين صادًا ، وتفسير ذلك ان الصوت المنفتح وهو السين جاور الصوت المطبق ، وهو الطاء في : مسطرة ، والصوت المستعلى وهو الخاء في : يصخن ، فقلبت السين الى نظيرها المطبق وهو الصاد ، تحقيقا للانسجام بين الصوتين المتجاورين .

4 - انتقال مجرى الهواء : يقرر علماء الاصوات ان مجرى الهواء مع الاصوات العربية يكون من الفم ، الا في صوتي الميم والنون ، فان مجرى الهواء معهما من الانف ..

وقد ينتقل مجرى الهواء مع اصوات الفم الى الانف ، وقد ينتقل من الانف الى الفم ، تحت ظروف لغوية خاصة ، هي التماثل غالبًا ..

ومن امثلة ذلك : ما رواه سيبويه في كتابه : (: 2/412) من قولهم : اصحمترا ، يريد اصحب مطرا . فقد انتقل مجرى الهواء مع الباء الى الانف ، بسبب مجاورة الميم . وحين ينتقل مجرى الهواء مع الباء الى الانف تصبح ميمًا ، ثم حدث الادغام . كذلك انتقل مجرى الهواء مع النون من الانف الى الفم في مثل : ان لم تفعل ، حيث ادغمت النون في اللام ، وذلك ان النون ومجرى الهواء من الانف ، جاورت اللام ، ومجرى الهواء معها من الفم ، فقلبت النون لاما ثم حدث الادغام .

5 - انتقال مخرج الصوت : روى سيبويه في كتابه (: 2 / 414) انه يقال في منبر : منبر بالميم

الصوتين في الآخر ، بحيث ينطق بالصوتين صوتاً واحداً كالصوت الثاني غالباً أي أنه تأثر تخلفي ..

فإذا تجاوز صوتان متقاربان ، أو متجانسان نحو :
انمت طالباً ، ادغم الصوت الأول وهو التاء في الثاني وهو الطاء ، فنطقت الكلمتان : انمطالبا (سيبويه : 418/2) ونحو : حدثهم أي حدثتهم ، حيث ادغمت التاء في التاء (سيبويه 420/2)

ونحو خبطه أي خبطته ، حيث ادغمت التاء في الطاء ، والتأثر هنا تقدمي حيث تأثر الصوت الثاني بالأول ففني فيه (سيبويه 2 / 423)

وكذلك قوله تعالى : (وجاءت سيارة) حيث ادغمت التاء في السين .

والتجاور في الأمثلة السابقة تام ، حيث لم يفصل بين الصوتين بصوت لين ويسمى هذا الإدغام عند القراء : « الإدغام الصغير » .

وقد يحدث الإدغام مع وجود فاصل هو حركة قصيرة ، وهذا النوع وارد في قراءة أبي عمرو ابن العلاء ، نحو قوله تعالى : (تكلا من حيث شئتما) حيث ادغمت التاء في الشين ، مع وجود فاصل بينهما هو الضمة في (حيث) وقوله تعالى : (وإذا النفوس زوجت) بادغام السين في الزاي مع وجود فاصل بينهما هو ضمة (النفوس) .

7 - التماثل بين اصوات اللين : كما يحدث التماثل بين الاصوات الساكنة ، يحدث بين اصوات اللين تحقيقاً للانسجام الصوتي بينهما ، هو المسمى عند المحللين (Vowel harmony)

ويمكن ان نمثل له بما روي ان بني تميم كانوا يقولون : لثيم ، شهيد ، سعيد ، ونحيف ، ورغيف ونخيل ، بكسر او اللها (6) وما يشيع في بعض اللهجات الحديثة من كسر الاول في نحو سعيد ونشيط وكبير ... ونحو تحية ، بكسر التاء ، تحقيقاً للانسجام بين صوتي اللين المتجاورين .

ومن ذلك فتح الميم في مروحة ومبرد في اللهجات الحديثة ، بدلا من كسرها كما تقضي العربية الفصحى في صيغة اسم الآلة .

ب - المساواة عند سيبويه هي التماثل عند المحللين :

وفي القرآن الكريم : (انبئهم) و (من بعد) اجمع القراء على قلب النون ميماً .

وفي لهجة الكويت نقول : السنبولة بدل السنبولة (نوع من السفن الصغيرة او القوارب ذكره الهمخشري في الاساس (قرب) .

والتفسير الصوتي لما حدث هنا : ان النون جاورت الباء ، وتحقيقاً للانسجام بينهما انتقل مخرج النون الى مخرج الباء ، وحين تنتقل النون الى هذا المخرج تنطق ميماً ، لان الميم كالنون من اصوات الانف ، وكلاهما صوت متوسط بين الشدة والرخاوة ، ووجود الميم مجاورة للباء يحقق انسجاماً اكثر لان الميم في اصوات الانف ، تناظر الباء في اصوات الفم .

كذلك ينتقل مخرج القاف في لهجة الكويت الى وسط الحنك اذا جاورت صوت اللين الامامي (الكسرة او ياء المد او الفتحة المرفقة او الف المد) نحو : جربه ، جدر ، رفيج ، وجاسم ، بدل قرية ، وقدر ، ورفيق ، وقاسم .

وتفسير ذلك : ان صوت اللين الامامي جاور القاف ، ولما كان صوت اللين الامامي صوتاً يرتفع معه اول اللسان نحو الحنك ، او يهبط نحو قاع الفم ، فقد جذب مخرج القاف الى الامام ، فخرجت من مخرج الجيم ، لان كليهما صوت شديد مجهور .

كذلك ينتقل مخرج الكاف الى الامام في لهجة الكويت ، اذا جاورت الكاف صوتاً من اصوات اللين الامامية ، فيجذبها الى وسط الحنك ، فتخرج من مخرج الشين ، والجيم ، فتخرج صوتاً بينهما ، وهو صوت كالجيم الفارسية ، او كصوت (ch) في الكلمة الانجليزية : (Chicken)

وذلك مثل : جبير ، جلب ، باجر ، اي كبير وكلب وباجر .

وفي الحالات الخمس السابقة يبدو اثر ظاهرة التماثل واضحا ، حيث قلب صوت الى صوت ينظره ، تحت تأثير صوت ثالث ..

6 - الإدغام : يعد الإدغام أقصى درجات التأثر بين الاصوات المتجاورة حيث يفنى أحد